الفصل الثالث

مكانة المرأة في الإسلام

لقد جاء الإسلام فرفع مكانة المرأة وأعلى شأنها وصان عرضها وشرفها لتكون فتاة مؤمنة أو زوجة صالحة أو أماً قانتة تربي أولادها على تقوى الله.

وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال أي أنهن مثيلات الرجال إلا ما استثناه الشارع، قال رسول الله ﷺ "**إنما النساء شقائق الرجال**"(١١).

بل لقد حكم النبي ﷺ أن خير الناس هو من كان خيرهم لزوجته، والحديث رواه الترمذي وأبو داود والدارمي من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"(١٢).

فالمرأة في طفولتها لها حق الرضاع والرعاية وإحسان التربية وهي في ذلك الوقت قرة العين وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى ولا أعين بخيانة، وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ، فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار وواجب على زوجها إكرامها والإحسان إليها، وكف الأذى عنها، وإذا

---

(١١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٥٨٦٩)، والترمذي (١٠٥)، وأبو داود (٢٠٤).

(١٢) صحيح: الترمذي (٣٨٩٥)، أبو داود (٤٨٩٩)، الدارمي (٢٢٦٠).

كانت أماً كان برها مقروناً بحق الله تعالى، وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها والغيرة عليها، وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة، وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن، زادت قيمتها لدى أولادها وأحفادها وجميع أقاربها، فلا يكاد يرد لها طلب، ولا يسفه لها رأي.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان لها حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

بل لقد أعطى الإسلام للمرأة حق التملك، والإجارة والبيع والشراء وسائر العقود، ولها حق التعلم والتعليم بل إن من العلم ما هو فرض عين عليها تأثم إن تركته.

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه في كتب الفقه.

بل إن من أعظم ما كرم به الإسلام المرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة، فأمرها بالحجاب والستر لأنها ليست سلعة رخيصة تنشر على الأرصفة يراها كل مار من أمامها، ولكنها جوهرة ثمينة لا ينظر إليها إلا من يعرف قدرها.

لذلك أمرها الإسلام بالبعد عن التبرج، وعن الإختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها.

ومن إكرام الإسلام لها أن أمر الزوج بالإنفاق عليها وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها والإساءة إليها.

ومن إكرام الإسلام لها أن جعل لها الحق في أن تفارق زوجها بإرادتها الحرة إن رأت أنه ظالماً لها، أو سيئاً في معاشرتها.

بل لقد رحم الإسلام المرأة رحمة بالغة عجيبة، فقد أسقط عنها الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس رحمة بها لما تعانيه من تعب، مع أن الصلاة لا تسقط بحال عن الرجل.

وأسقط عنها النفقة، فلا تنفق على ولدها ولا والديها ولا زوجها بل لا تنفق على نفسها بل يلتزم زوجها بالنفقة عليها أو وليها.

وأسقط عنها حضور الجمع والجماعات.

وأوجب لها الإسلام مهراً كاملاً يدفعه الزوج، ولها وحدها حق التصرف فيه.

ورحم الإسلام المرأة فأسقط عنها فريضة الحج إذا لم يكن معها محرم يحرسها ويخدمها حتى ترجع.

بل إن من رحمة الإسلام بالمرأة أن حرم طلاقها وهي حائض مراعاة لحالها وحتى لا تطول عدتها.

ومن رحمة الإسلام بالمرأة أن حرّم نكاحها بلا ولي ولا شهود حتى لا تتهم في عرضها ونسب أولادها.

بل إن من أعجب رحمات الإسلام بالمرأة، وحرصه عليها ودفاعه عنها وتكريمه لها أن أوجب على من قذفها في عرضها جلد ثمانين جلدة، ويشهر به في المجتمع ولا تقبل شهادته أبداً.

بل ومن تكريم الإسلام للمرأة أن جعل من يُقتل في سبيلها ليحافظ على عرضها ويدافع عنها جعله شهيداً، والله إن الحلق ليجف، وإن الكلمات لتتوارى خجلاً وحياءً من التعليق على هذا الإكرام والتعظيم والإجلال والتقدير من الإسلام للمرأة.

بل لقد رحم الإسلام المرأة وهي أماً، ورحمها وهي زوجة، ورحمها وهي بنتاً.

فقد أوصى النبي ﷺ بالأم ثلاث مرات لمالها من تكريم، ومكانة عظيمة، ورفعة لشأنها والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة أن رجلا سأل النبي ﷺ : **"من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك؛ قال ثم من؟ قال: أمك؛ قال ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال: أبوك"**[١٣].

أئتوني بدين أو بشريعة أو بقانون قد كرم الأم مثل هذا التكريم، والله لن تجد إلا الإسلام.

بل لقد جعل الإسلام البر بالأم ولزوم خدمتها خير من الجهاد في سبيل الله؛ والحديث رواه ابن كثير بسند صحيح من حديث معاوية السلمي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، فقال المصطفى ﷺ "ويحك أحية أمك؟"، قلت: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ : "ويحك ألزم رجلها فثم الجنة"[١٤].

فأي إجلال وتعظيم وإكرام للمرأة أكثر من ذلك وقد جعل الله الجنة عند رجلها.

أما تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجة فيحسن هنا أن نذكر وصية النبي ﷺ لكل رجال أمته في حجة الوداع إذ أوصى بالنساء فقال "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله"[١٥].

---

(١٣) البخاري (٥٩٧١).

(١٤) رواه ابن كثير في المسانيد والسنن (٥٥٢٩) وصححه الألباني.

(١٥) صحيح الجامع (٢٠٦٨).

وقال ﷺ "إنما النساء شقائق الرجال"[١٦].

فقد جعل الإسلام المرأة شقيقة للرجل في كل أحواله وأفعاله، تشترك معه في تربية الأولاد، وتعمل على إستقرار بيتهم لأن بإستقراره يخرج بيتاً طيباً منظماً يساهم هذا البيت في بناء المجتمع، لذا يمكن أن يقال عن المرأة أنها نصف المجتمع بل إنها المجتمع كله فهي الأم والأخت والبنت والزوجة التي تلد النصف الآخر، لذلك نزلت أوامر الله تترى تعلم الرجال كيفية التعامل مع النساء، قال تعالى: **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** [النساء: ١٩].

وقال تعالى: **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** [البقرة: ٢٢٨].

وقال تعالى: **(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)** [البقرة: ٢٣١]، وقال تعالى: **(فَلا تَعْضُلُوهُنَّ)** [البقرة: ٢٣٢] وقال تعالى: **(وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا)** [البقرة:٢٣١].

بل لقد نهى الإسلام الأزواج أن يكرهوا نسائهم حتى وإن كانت سيئاتهن تغلب حسناتهن، وأرشد الرجل أن يقوم بعملية الموازنة بين صفاتها وأخلاقها، ويتغاضى عما يجده منها من شيء غير محمود، لأجل ما اتصفت به من الصفات والأخلاق المحمودة لأن الكمال لا يصل إليه أحد، والحديث رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها آخر"[١٧].

---

(١٦) صحيح وقد تقدم

(١٧) صحيح مسلم.

قال النووي رحمه الله "أي ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقاً يكره، وجد فيها خُلقاً مرضياً، بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك".أ.هـ

وروى أبو داود بسند حسن أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: ما حق زوجة أحدنا عليه يا رسول الله؟ فقال المصطفى ﷺ "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا إكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت"[١٨].

فهذا هو بعض تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجة.

أما تكريم الإسلام للمرأة وهي بنت ورحمته بها، فقد جعل الإحسان إليها والإهتمام بتنشئتها وتربيتها سبباً من أسباب النجاة من النار والحديث رواه البخاري من حديث عائشة أنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: **"من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار"**[١٩].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **"من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه"**[٢٠].

بل لقد بلغ من تكريم الإسلام للبنت ورحمته بها أن منع من إكراهها على الزواج ممن لا تريد الزواج به، وحكم على عقد الزواج بأنه غير

(١٨) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٢) وحسنه الألباني في الصحيحة.
(١٩) صحيح: البخاري (١٤١٨).
(٢٠) صحيح: مسلم (٤٧٧١).

صحيح، والحديث في صحيح البخاري من حديث خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنها: **"أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه"**[٢١].

وفي سنن أبي داود من حديث بن عباس τ "أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ [٢٢] يعني خيرها النبي ﷺ بين إمضاء هذا الزواج، وبين تركه لعدم رضاها عنه.

بل إن من أعظم رحمات الإسلام بالمرأة عموماً وتكريمه لها أن أوجب على الرجال أن يعاملنها معاملة الملكات، فحرم على الرجال الأجانب عنها مصافحتها ولمس يدها ولو لبضع ثواني، لأن الملكات لا يصافحن العوام الغرباء.

فلا يجرؤ أحد على لمس يدها إلا الملك الذي تزوجها.

ولأنها ملكة مكرمة في الإسلام، حرم على الرجال الإيقاع بقلبها في قفص حبهم بدون عقد يشهد عليه الأهل والجيران.

فيا أيتها المرأة المسلمة إن شأنك العظيم في دين رب العالمين فلترفعي هامتك... ولتناطح رأسك السحاب، اعتزازاً بدينك وفخراً بمكانتك، ووالله إنه لشرف لو تعلمين عظيم.

---

(٢١) صحيح: البخاري (٤٨٤٥).

(٢٢) سنن أبي داود (٢٠٩٦).